



لم يكن أمراً مفاجئاً الهجوم الذي شنته ميليشيات النظام على قرى (الزيارة، تل واسط، المنصورة، خربة الناقوس) في القطاع الأوسط من سهل الغاب، تلك المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية سياسياً إضافة لما تملكه من أهمية عسكرية، كونها على تماس مباشر (مع حاضنة النظام وخزانه البشري من الشبيحة) عبر سلسلة الجبال الساحلية ولأكثر من (70) كم وإذا ما اتصلت مع سهل الغاب تصبح أكثر من (160) كم وبجهازه تمتد من نبع المر على الحدود التركية شمالاً وحتى قمة النبي يونس في الجنوب وصولاً إلى مصياف في أقصى جنوب سهل الغاب، مما يشكل هاجساً ضاغطاً على نظام الأسد وحلفائه ويهدد بزعزعته وربما سقوطه.

المعركة التي بدأت صباح الثلاثاء وبعشرات الغارات الجوية من طائرات الأسد (مع معلومات عن تسليم إيران 3 أسراب طائرات قاذفة من الطيران العراقي الهارب لإيران والمحتجز لديها منذ حرب الخليج الثانية) ومع مئات الرميات التمهيدية من دبابات ومدفعية (الفوزديكا) وصواريخ (أرض- أرض)، إضافة لبراميل حوماته، وباتباع السياسة المعهودة (سياسة الأرض المحروقة) لميليشيات النمر الوردي (سهيل حسن)، والذي يلجأ لهذا التكتيك كونه يدرك أن أي مواجهة أرضية ستكون نتيجتها لصالح مقاتلي جيش الفتح، تلك المعركة وإن توقعها وأرادها النظام مباغته لكنها لم تكن كذلك بل كانت متوقعة ومحسوبة من قبل غرفة عمليات الثورة.

فمن يدرك أهمية سهل الغاب، يدرك معها أن النظام لن يتخلى عنه إلا مكرهاً كونه يمهد لمعارك لاحقة قد تطيح بكل ما حاول النظام تجنبه على مدار السنوات الأربع الماضية، وانسحاب جيش الفتح من بعض قرى سهل الغاب الأوسط لم يكن إلا تكتيكيًّا يتتجنب فيه ضربات النيران ومن ثم يعيد الوضع لما كان عليه عبر هجوم معاكس مرتفق بانت ملامحه عبر استعادة قرية (المشيك) ظهر الأربعاء.

فطبيعة سهل الغاب المنبسطة وذات اللون الأخضر تعطي ميزة للطيارين برصد كامل سهل الغاب وتحديد أهدافهم بمنتهى السهولة.

وهذا ما دفع جيش الفتح للجوء لاتباع أحد ثلاثة أمور وأحياناً جميعها:

الانتشار الجبوي على مساحات واسعة لتصعيب عمل الطيران واستنفافه بعدد أكبر من الضربات اللافعالة.

الإلتحام السريع والقريب لجيش الفتح مع العدو وهذا ما يسمى (تكتيك المعركة القرية) وبالتالي إخراج جهد الطيران خارج معادلات المعركة.

اللجوء للعمليات الليلية بعد دفاع نهاري قد يتخلله بعض الانسحابات التكتيكية وبذلك يتم تحديد ضربات الطيران قدر الإمكان.

معارك سهل الغاب قد تكون (ببضة القبان) التي ترسم وتمهد لنهاية النظام الذي حاول ومنذ بداية الثورة وحركها المسلح من اتباع سياسة تقطيع الأوصال بين الجبهات والانفراد بكل جبهة على حدة.

تحرير سهل الغاب من قبل جيش الفتح وربط واتصال ثلاث جبهات (الساحل- إدلب- حماه)، قد تكون الضربة التي تزلزل كرسي سلطة (الأسد) وفق ما يمكن أن تؤول إليه العمليات العسكرية مستقبلاً، سواءً بالمتابعة جنوباً عبر محور (سلحب- مصياف- صافيتا) والوصول لقطع وفصل المنطقة الساحلية عن المنطقة الوسطى، أو المتتابعة غرباً عبر سلسلة الجبال الساحلية (عين الشرقية- بيت ياشوط- القرداحة)، أو عبر جبهتي جبلي التركمان والأكراد (المتحفزين) والتغلب عمقاً في حاضنة وقرى النظام، وصولاً إلى تحرير تلك المرحلة تعني توجيه طلقة الرحمة على رأس نظام يكون قد مات سريرياً بيد حاضنته الشعبية.

جبهة الساحل التي تملك رجالاً من خيرة مقاتلي الثورة وكانوا من أوائل من حمل السلاح وحرروا نصف ريف اللاذقية وقطعوا اوتستراد (اللاذقية - حلب) ذو الأهمية الاستراتيجية للنظام منذ منتصف عام (2012) ولم ولن يفتح، ونظراً لما تشكله جبهة الساحل من خطر على نظام الأسد، فقد مورست عليها أقسى أشكال الضغط والمنع والإفقار بالإمدادات، ووقف لكل مقومات فتح المعارك أو التقدم والاقتحام، ومع ذلك آثرت تلك الجبهة على نفسها أن تبقى شوكة في حلق النظام عبر اتباع سياسة المشاغلة و المعارك الاستنزاف لمنعه من سحب أي من ميليشياته بقصد المؤازرة أو الدعم، مع فتح بعض المعارك الصغيرة وفق تكتيك (القضاء البطيء) التي تنهك النظام وتجرده من بعض الواقع الهامة في ساحة المعركة، كما حصل منذ إسبوع عبر تحرير تلة الزيارة وتلة الرحمة وتلة الخضراء من خلال المعارك التي دارت على محور (بيت حلبية- بيت عوان) في جبهة جبل التركمان، أو عبر تحرير قمة الشيخ محمد قرب قمة النبي يonus في الشهر الماضي.

أمام هذا الواقع العسكري وجدنا انخفاضاً وهبوطاً واضحاً في الحالة النفسية والمعنوية لميليشيات النظام وحاضنته الشعبية وجدنا حالة من الغضب والتململ بين صفوفه خصوصاً مع الأخبار الواردة من الجبهة الجنوبية وفي معركة عاصفة الجنوب والتي تهدد النظام بخسارته لأهم معلم ومرتكز له في سهل حوران إن تم تحرير مدينة درعا كما هو متوقع، وزاد الأمر سوءاً مع الجريمة التي ارتكبها المجرم (سليمان هلال الأسد) وقتله لمجرم كان في إجازة من قتل السوريين (العقيد حسان الشيخ)، تلك الحادثة التي حركت الشارع في اللاذقية وتحولت لاعتصامات أرعبت النظام (لكن هؤلاء لم تحركهم مئات الجرائم والمجازر التي ارتكبها ميليشيات النظام وحلفائه)، لكن إجرام النظام لا يتوقف، فقام بجريمة موصوفة وعلى مدى ثلاثة أيام بتصف مدينة اللاذقية بعدة صواريف وعلى الأحياء (السنية) نوع من الترهيب لوقف الاعتصامات وجرهم لحالة عامة ويعيد ربطهم بكرسي السلطة ويكون فيها هم السلطة أهم من قتل (عقيد) وإن كان (علوياً)، فأمام مصلحة نظام الأسد لا تهم الطائفة ولا يهم الدين وهو مستعد لحرق الساحل والقرداحة بمن فيهما إذا كان هذا الأمر يضمن له البقاء في كرسي السلطة.

المبادرات السياسية وما تحتويها والتحركات العسكرية وما ترسمه من وقائع على خارطة المارك، كلها تقترب من حتمية تصريحات وزير الخارجية السعودي (عادل الجبير) عندما قال في موسكو: (أمام الأسد أحد احتمالين: إما الرحيل بحل سياسي أو السقوط العسكري)، والعارف بمتغيرات وتفكير أعمدة هذا النظام وبمن يستولي على قراره السياسي والعسكري (إيران وحزب الله) يدرك أن هذا النظام لن يستسلم حتى آخر طلقة بمستودعات جيشه أو عبر طلقة من يد حر شريف تستقر برأس (الأسد) وتنهي هذا الدمار الذي حل بسوريا الوطن.

متى؟

قادمات الأيام تحمل معها الخبر اليقين... لكن كل المؤشرات تقول: ما نحلم به أصبح قريباً المنال وإن كان لا يلبي كل الطموح.

كلنا شركاء

المصادر: